مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــ المجلد : 10 / العـدد: 01 (جانفي 2022) ص 65 –88
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

الإعجاز الغيبي المستقبلي في القرآن الكريم ـ زوال بني إسرائيل أنموذجا ـ

The Future Unseen Miracle in the Holy Qur'an - the Demise of the People of Israel -

الدكتور: محمد بولقصاع[1]
Dr.Boulaguessa mohammed[1]
1 قسم العلوم الإسلامية جامعة غرداية (الجزائر)، aboumariame0509@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/06	تاريخ القبول: 2022/01/13	تاريخ النشر: 2022/01/25

الملخص:

تهدف هذه الدِّراسة إلى إبراز أحد أهمِّ وجوه الإعجاز القرآني وأشهرها، وهو الإعجاز الغيبي المستقبلي حيث أنبأنا القرآن الكريم عن كثير من الحوادث والوقائع التي ستحدث لا محالة؛ فكان منها حديثه عن شأن بني إسرائيل وما سيكون من أمرهم في الوَعدين المذكورين في مطلع سورة الإسراء.

وممَّا خلُص إليه الباحث أنَّ الوعد الأوَّلي قد وقع في صدر الإسلام، أمَّا الوعد الآخر فإنَّنا نعيش عَصرَه وَأوَانه، وأنَّ زوال الكيان الإسرائيلي حتمية قرآنية مقطوع بها وستكون على يَدِ أهل القرآن.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الإعجاز، الغيب، المستقبل، إسرائيل.

Abstract

This study aims to highlight one of the most important aspects of the Qur'anic miracle and the most famous, which is the future unseen miracle, where the holy Qur'an told us about many incidents and facts that will inevitably occur; one of which was his talk about the people of Israel and what will be their matter in the two promises mentioned at the beginning of Surah Al-Isra.

The researcher concluded that the initial promise took place at the beginning of Islam while the other promise we are living its time and that the demise of the Israeli entity is a Quranic inevitability and will be at the hands of the people of the Qur'an.

Keywords: Qur'an, Miracle, Unseen, Future, Israel.

[1] **المؤلف المرسل** : د.محمد بولقصاع ، **الإيميل**: aboumariame0509@yahoo.com

1.**مقدمة**:

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة بذكر أنباء بني إسرائيل، فقد ذكرهم في جوانب كثيرة تخصُّهم بدءا من أصولهم، ونشأتهم، وعقائدهم، وصفاتهم، ومواقفهم مع أنبيائهم... وانتهاءً بزوالهم وفنائهم؛ كما أنزل الله إليهم أشْهَر كُتبه، وأرسل إليهم عزائم رُسله، وخصَّهم بالذِّكر في أغلب سُوَره فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[النمل: 76].

فكان اهتمام القرآن بهم يشمل سُوَره المكِّية والمدنيَّة، الطِّوال منها والقصار، وإنَّنا نجد في الكثير من السُّور ذكرًا لهم بسطًا أو إجمالاً، تصريحًا أو تلميحًا، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد في فاتحة الكتاب أنَّ الله يرشدنا بأن لا نسلك طريق "المغضوب عليهم" وهم اليهود، وفي سورة البقرة ذُكروا فيها أكثر من مرَّة، حتَّى أنَّ تسميَّة السُّورة مأخوذة من عظيم معجزة قصَّة بقرة بني إسرائيل، وفي سورة آل عمران التي سمِّيت باسم أشْرف بيتٍ من بيوتهم، وفي سورة النِّساء جاء في أواخرها ذكرٌ لبعض عقائدهم، وما قالوه في حقِّ مريم البتول، وما توهَّموه من قتلهم لعيسى عليه السَّلام، ونجد كذلك في سورة المائدة الكثير من خصالهم الدَّنيئة، وعقائدهم الفاسدة حتَّى مسَخَهم الله قردةً وخنازيراً؛ بل حتَّى أنَّ تسميتها بالمائدة مأخوذ مما طلبه بنو إسرائيل من عيسى عليه السَّلام أن يُنَزِّل عليهم مائدة من السَّماء، وفي سورة الأنعام فيها ذكرٌ لأطعِمتهم، وذبائحهم، وما أُحلَّ لهم، وما حُرِّم عليهم، وفي سورة الأعراف فصَّلت الحديث عنهم إبَّان فترة الطَّاغية فرعون الذي نَكَل بهم وآذاهم حتَّى بعث الله موسى عليه السَّلام وخلَّصهم منه، وفيها أيضًا ذكرُ عبادتهم للعجل، وقصَّة أصحاب السَّبت.

وهكذا أغلب سور القرآن حتَّى أنَّ سورة يوسف عليه السَّلام الذي هو من بني إسرائيل ونبيٌّ من أنبيائهم ذُكر فيها أصلهم، ونشأتهم، وصفاتهم، وزمان عيشِهم ومكانه.

وتأتي سورة الإسراء والتي تسمَّى سورة بني إسرائيل، والتي هي مدار هذا البحث، وموضوع هذه الدِّراسة، لتُطلعنا على أمور غيبيَّة مستقبليَّة ستحدُث لبني إسرائيل لا محالة، وهي تعدُّ من قبيل الإعجاز الغيبي الذي لا يُطلعه الله على أحدٍ من خلقه إلا من ارتضاه من رُسُله، فأخبرتنا أنَّ بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرَّتين، وسيعلُون علوًّا كبيرا، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ سيمدُّهم بأموال وبنين ويجعلهم أكثر نفيرا، وأنَّه سبحانه وتعالى سيرسل عليهم عبادًا يسومونهم سوء العذاب، ويهزمونهم شرَّ هزيمة...

من هذا المنطلق فقد جاءت هذه الدراسة لتبحث في هذه الآيات وتجيب على الإشكالية الآتية وهي: ما مدلول الآيات المتحدِّثة عن زوال بني إسرائيل في مطلع سورة الإسراء؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات وهي: ما هما الوعدان المذكوران في سورة الإسراء؟ وما هما هذان الإفسادان؟ وهل وقعا أم ليس بعد؟

وقد تمَّت دراسة هذا البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي.

والهدف من هذا البحث هو إثباتُ أمرِ الإعجاز الغيبي المستقبلي الواقع ذكره في مطلع آيات سورة الإسراء تفصيلا وبيانا، وإظهار تجدُّد عطاء القرآن وزَخَم معارفه وعلومه، وبيان عظمته من جانب إعجازه الغيبي الذي برز من خلال الآيات المدروسة في هذا البحث والتي تعالج قضيَّة الساعة وهي: إفساد بني إسرائيل وعلوّهم، وبيان مآلهم في الأخير.

وقد اقتضتْ طبيعةُ هذا البحث أن نقسِّمَه إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

- **المقدمة: وتضمَّنت التمهيد للموضوع، وذكر إشكاليته، والهدف منه.**
- **المبحث الأول: مفهوم الإعجاز الغيبي المستقبلي.**
- **المبحث الثاني: أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم.**
- **المبحث الثالث: زوال بني إسرائيل الموعود في فواتح سورة الإسراء.**
- **الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.**

فإن وُفِّقت في هذا البحث إلى بيان مراد الله من الآيات الواردة في مطلع سورة الإسراء فهذا فضلٌ من الله، وإن جانبت فيه الصَّواب فأستغفر الله وأتوب إليه، وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

2. المبحث الأول: مفهوم الإعجاز الغيبي المستقبلي:

قبل الوقوف على دراسة المغيَّبات القطعية وغيرها مما هو مذكور في السُّورة يتوجَّب علينا أولا إيضاح بعض التَّعريفات الأساسية التي تُعيننا على فهمٍ دقيق للموضوع.

1.2 مفهوم الإعجاز لغة واصطلاحا:

أ **. لغة:** معنى الإعْجاز الفَوْتُ، والسَّبْقُ يقال: أَعْجَزَني فلان أَي: فاتني. وأَعْجَزَني فلان إذا عَجَزْتَ عن طلبه وإدراكه (ابن منظور،1414هـ، 369/5).

ويقول صاحب معجم مقاييس اللغة: العين والجيم والزَّاء أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحدُهما على الضَّعف، والآخر على مؤخَّر الشَّيء، فالأول: عَجِزَ عن الشيء يعجز عَجْزاً، فهو عاجزٌ، أي: ضَعيف. وقولهم إنّ العجزَ نقيضُ الحَزْم؛ لأنَّه يَضْعُف رأيُه. ويقال: أعجزَني فلانٌ، إذا عَجِزْت عن طلبه وإدراكه (ابن فارس،2002 م، 189/4).

ويقول صاحب القاموس المحيط: التَّعْجِيزُ: التَّثْبِيطُ والنِّسْبَةُ إلى العَجْزِ. ومُعْجِزَةُ النبيّ: ما أعْجَزَ به الخَصْمَ عندَ التَّحَدّي والهاءُ للمُبالَغَةِ (الفيروزآبادي، 1407هـ، 663/1).

إذاً فمادَّة: "عَجَزَ" في المعاجم اللُّغوية العربية تدور حول إثبات عدم القدرة، ونفي الاستطاعة، والقصور عن فعل شيءٍ بسبب الفوت، والسَّبق، والضَّعف.

وقد وردت اشتقاقات الكلمة في القرآن الكريم لأزيد من عشرين موضعا مثل: أعَجَزت، مُعاجزين، مُعجزي، يُعجِزَه... وكلُّها تؤكِّد المعنى اللُّغوي الذي سبق ذكره.

ب . المعجزة اصطلاحا: هي أمرٌ يعجز البشر متفرِّقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أو هي أمر خارقٌ للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالى على يد مدَّعي النبوَّة عند دعواه إيَّاها شاهدا على صدقه. (الزرقاني، 2017م، ص 58).

ومما تجدر الإشارة إليه أنَّ مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يردا في القرآن الكريم، وإنَّما ظهرا في أواخر القرن الثاني الهجري وبداية الثالث، وذلك عند بداية تدوين العلوم (مسلم، 1426هـ، ص17)؛ وهذا المصطلح يأتي التَّعبير عنه في القرآن الكريم أحيانا بمعنى:

. الآية: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾[البقرة: 211]، أي: معجزة واضحة.

. البيِّنة: كما في قول تعالى: ﴿قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً﴾[الأعراف: 73]. والبيِّنة هي الدِّلالة الواضحة.

. البرهان: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾[القصص: 32]. أي: حجَّتان نيِّرتان على صدقه في النُّبوَّة، وصحَّة ما دعاهم إليه (الرازي، 1420هـ، 596/24).

. السُّلطان: ﴿قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [إبراهيم: 10]. أي: حجَّة بيِّنة (البغوي، 1420هـ، 32/3).

2.2 مفهوم الغيب لغة واصطلاحا:

أ . لغة: أصل مادة "غَيب" تدل على تستُّر الشَّيء عن العيون، فالغيب: كلُّ ما غاب عن حواسِّ الإنسان، ممَّا لا يعلمه إلا الله، والغيب: خلاف الشَّهادة، واستُعمل في كلِّ غائب عن الحاسَّة، وعمَّا يغيب عن علم الإنسان بمعنى: الغائب، وجمعه غُيوب (الزبيدي، 1965م، 497/3؛ الرازي، 1995م، ص488).

ب . اصطلاحا: هو ما لا يقع تحت الحواسِّ، ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يُعلم بخبر الأنبياء . عليهم السَّلام . عن طريق الوحي، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد والكفر (الأصفهاني، 1412هـ، ص67)، كما أنَّه لا يمكن أن يصل إليه علم خَلْقٍ من خَلق الله حتَّى الملائكة المقرَّبين (الشعراوي، 1997م، 126/1) لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[النمل: 65]، وهو محجوب عن الخلق جميعًا إلا ما أطلع الله به رُسله ممَّا سيقع قبل أن يقع على سبيل القطع والجزم ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾[الجن: 26 . 27]، فاطِّلاع الرُّسل على بعض الغيبيات لا يكون إلا من قبل الله تعالى، وبما يوحيه إليهم من أنباء الغيب، مصداقا لقوله سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هذا﴾[هود: 49].

3.2 مفهوم الإعجاز الغيبي كمركب إضافي:

هو كل ما كان غائبًا عن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم، ولم يشهد حوادثَ الواقعة، ولم يحضر وقتها، فبهذا المفهوم يدخل كلّ ما ورد في القرآن الكريم عن بداية نشأة الكون وما وقع منذ خلق آدم عليه السلام إلى مبعث النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم من عظيمات الأمور، ومهمَّات حوادث التاريخ، وكذلك يشمل ما غاب عن النَّبي ﷺ في وقته من الحوادث التي كانت تحدُث، وجاء الإخبار بها عن طريق الوحي، كإخبار الله عزَّ وجلَّ له بما يكيده اليهود والمنافقون، ويشمل أيضًا ما تضمَّنه من الإخبار عن أمور وحوادث تقع في مستقبل الزَّمان(مصطفى مسلم، 1426هـ، ص259).

وقد أدرج بعض العلماء المتأخِّرين الإعجاز العلمي ضمن الإعجاز الغيبي، وذلك لأنَّ الآيات التي تتضمَّن حقائق علمية صدقت عليها موازين العلوم والاكتشافات الحديثة، تتضمَّن حقائق غيبيَّة في الوقت ذاته (البوطي، 1999م، ص153).

وتعدُّ الحقائق العلميّة التي توصَّل إليها العلماء حديثا أنَّها من قبيل الأخبار الغيبيّة المستقبليّة، لأنَّ الله أنبأنا عنها منذ نزول القرآن، وهي في ذلك الوقت من العلوم الغائبة عن النَّاس، ولم يتمكَّن البشر من إدراك حقيقتها إلاَّ في هذا العصر الحديث، تماماً كما هو حال الحوادث والوقائع المستقبلية ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[فصلت: 53].

3. المبحث الثاني: أنواع الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم.

لقد تضمّن القرآنُ الكريم الكثيرَ من الأخبار الغيبيّة التي تؤكِّد ربَّانية القرآن، وتؤيِّد مصداقية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم الأمِّي الذي ما كان يتلو قبل نزول الوحي كتابًا، ولا يخطُّ صحيفة بيمينه، فجاءت جميع أنبائه كما أخبر دون أن تتخلَّف أو تتغيَّر، فكانت على ثلاثة أنواع:

1.3 غيبُ الماضي: وهو كل ما حَمَله القرآن الكريم من أخبار واقعة قبل زمن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم، ويندرج فيها: قصَّة خلق الكون، وقصَّة خلق آدم، وجميع قصص الأنبياء مع أقوامهم، وقصص الصَّالحين كأصحاب الكهف وذو القرنين، والطَّالحين كقارون وأصحاب السَّبت، وقد سمَّى الله هذه الأخبار كلَّها غيبا، وجعلها دالَّة على صدق النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم إذ لم يكن يعلمها هو ولا قومه من قبل أن تنزل عليه الآيات الكاشفة لهذا الغيب السَّحيق، وقد شمل هذا النَّوع مساحة كبيرة في القرآن الكريم وبالأخصِّ في القسم المكيِّ.

ونلاحظ في هذا النَّوع من الإعجاز أنَّ القرآن يختم قصَّته بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾[هود:49]، فهي أخبار من عالم الغيب الذي لم يكن للنَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم ولا لقومه اطِّلاع عليها وعلمٌ بها، ونقرأ هذا عند ذكره عزَّ وجلَّ لقصَّة مريم . عليها السلام . في سورة آل عمران، وقصَّة نوح عليه السلام في سورة هود، وقصَّة يوسف عليه السلام في أواخر سورة يوسف، وقصَّة موسى عليه السلام في أجواء سورة القصص...

2.3 غيب الحاضر: ونقصد به مجريات الأحداث والوقائع التي حضرها النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم وعايَنها، وكان علمه بها عن طريق الوحي قبل حدوثها، أو أثناء حدوثها، ويهدف هذا النَّوع في مجمله إلى كشف كلِّ من ناصَبَ العداء لله ورسوله، وأغلبه واقع في القسم المدنيِّ.

فكلُّ ما أطلعه القرآن عليه من مغيَّبات واقعة لم يعرفها إلا بعد نزول الوحي عليه، أو أمور كانت تُدبَّر في غيابه ولم يعلمها، أو تخطيط يُحاك ضدَّه ولم يعرفه حتَّى أماط القرآن الكريم اللِّثام عنها؛ يعدُّ من غيب الحاضر، كَكَشْف القرآن لسرائر المنافقين وفضحهم كما في سورتَي التَّوبة والأحزاب، والإنباء عن ضمائر اليهود ومكرهم كما في سورتي البقرة والمائدة، أو ما يختصُّ بشأن المؤمنين فأحيانا يكشف القرآن بعضا من نواياهم قصد تصحيحها وتصويبها كإعجابهم بكثرتهم يوم حنين، أو ما نزل في بعض شأن أزواجه . رضوان الله عليهنَّ . في قصَّة التَّحريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلى بَعْضِ أَزْواجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَها بِهِ قالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هذا قالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[التحريم: 3].

3.3 غيب المستقبل: وهي الأخبار التي تحدَّث عنها القرآن الكريم قبل وقوعها، وهي على ثلاثة أقسام:

أولا: ما حدَّث عنه القرآن الكريم قبل وقوعه، ووقع في حياة النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم: وهو الغيب الذي يُطلعُ الله نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم من أحداثٍ ووقائع سيشهدُها ويراها رأي العين في مستقبل أيَّامه، وجاء وقوعها متأخِّرا عن نزول الآيات كمثل ما أخبره الله عزَّ وجلَّ في الفترة المكِّية أنَّ قريشًا ستُهزم وتولِّي أدبارها، وهو عين ما وقع في غزوة بدر حيث هُزمت قريش شرَّ هزيمة وفرُّوا من ميدان القتال ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[القمر: 45]، وكذلك إخباره عن انتصار الرُّوم على الفرس بعد بضع سنين، إذ لم يكن هذا النَّصر متوقَّعا من أحد بسبب هزيمة الأولى على يد الثَّانية، ولا حتَّى من النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم الذي لا يعرف من أخبار الرُّوم والفرس شيئا، والأعجب من ذلك تحديد القرآنِ زمن الانتصار ومكانه، فقد كان في بضع سنين، وفي أدنى الأرض، وهذا ما لا سبيل لأحد إليه بحال إلاَّ عالم الغيب سبحانه، يقول تعالى: ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: 1 . 6].

كما يدخل في هذا النَّوع أغلب الوعود التي وعد الله بها نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم: كوعده إيَّاه بدخول مكة آمنًا، ووعده بتمكينه وإظهار دينه على بقيَّة الأديان...

ثانيا: ما حدَّث عنه القرآن الكريم قبل وقوعه، ووقع بعد وفاته صلَّى الله عليه وسلَّم: من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: 16]، فقد تخلَّف الأعراب يوم الحديبية، واعتذروا لرسول الله ﷺ بقولهم: ﴿شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا﴾[الفتح: 11]، فقبل صلَّى الله عليه وسلَّم توبتهم شريطة أن يستعدُّوا في مستقبل أيَّامهم لمُقاتلة الرُّوم والفرس اللَّتين وصفهما الله بالقوَّة والشِّدَّة، فحدَث ذلك زمن الخلفاء الراشدين حيث قاتل الأعراب في صفوف المسلمين ضدَّ الرُّوم والفرس (مصطفى مسلم، 1426هـ، ص280).

ومثاله: أيضا ما قضاه الله لبني إسرائيل في الوعد الأول المذكور في سورة الإسراء فقد بدأ تحقُّقه زمن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم لمّا أخرج بني النَّضير من ديارهم لأوَّل الحشر، واستمرَّ تحقُّق هذا الوعد حتَّى زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ فأخرجهم من الجزيرة العربية كما سنفصِّل ذلك بحول الله.

ثالثا: ما حدَّث عنه القرآن الكريم قبل وقوعه، ويقع في العصر الحديث: وهو ما نمثِّل له بالوعد الأخير المذكور في مطلع سورة الإسراء وخِتامها، حيث قال: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً﴾[الإسراء: 7]، وقوله: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾[الإسراء: 104].

فهذه الأنواع الثلاثة من المغيَّبات جمهور علماء المفسِّرين يقرُّون بأنَّها وجهٌ من وجوه إعجاز القرآن؛ ولكنَّهم اختلفوا هل وقع بها التَّحدِّي أم لا؟ فذهب الخطَّابي (1976م، ص23) إلى أنَّه لا يقوم بحدِّ ذاته على التَّحدِّي؛ لأنَّه ما من سورةٍ من سور القرآن الكريم إلاَّ ووقع بها التَّحدِّي، بينما الإعجاز الغيبي لا يوجد في كلِّ سُوَر القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: 23].

ولكنَّ غالبية العلماء يرَوْن الإعجاز والتَّحدِّي قائمين في هذه الأنواع الثلاثة كالقرطبي (1964م، 74/1)، والسُّيوطي (1974م، 19/4)، والألوسي (1415هـ، 29/1 .34)، ومحمد رشيد رضا (1990م،165/1)، وبركة (1989م، ص17) وغيرهم كثير، وملخَّص كلامهم: أن إخبار النَّبيِّ الأمِّيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بهذه المغيَّبات وتحقُّقها كما أخبر بها تماماً بنصِّها وحرفها ليس في طاقة البشر؛ لأنَّ غاية ما يستطيعه العقل البشري في هذا هو أنْ ينقُل عن غيره، أو يقيس غائبا على شاهد، أو أن يعتمد على التَّجارب.. ولمَّا كان القرآن زاخرًا بأخبار كثيرة عن الغيوب التي لا علم للنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بها، ولا سبيل لمثله أن يعلمها بوسائله البشرية، دلَّ ذلك دلالة بيِّنة على أنَّ هذا القرآن المشتمل على تلك الغيوب المفصَّلة تفصيلاً دقيقاً حتَّى لكأنه صلَّى الله عليه وسلَّم حضرها وعايَنَها بالرَّغم من أمِّيته، ومجتمعه الأمِّيِّ، لا يُعقل بحال أن يكون نابعاً من نفس محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، فلم يبق إلا أنَّ نقول بأنَّه كلام علام الغيوب، والبشر مهما حاولوا الفَهم فهُم عاجزون عن الإتيان بمثله.

4. المبحث الثالث: زوال بني إسرائيل الموعود في فواتح سورة الإسراء.

تعتبر سورة الإسراء من السُّور المكيّة التي نزلت قبل هجرة النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة المنوَّرة، وقد كان نزولها في السَّنة الحادية عشر من البعثة، وسمِّيت بسورة الإسراء لافتتاحها بحادثة الإسراء، وتسمَّى في عهد الصَّحابة سورةَ بني إسرائيل لتضمُّنها الحديث عن شأنهم وأخبارهم (ابن عاشور، 1984م، 5/15).

فبعد افتتاح السُّورة بتكريم الله عزَّ وجلَّ لنبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم برحلة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، انتقل الحديث بعدها إلى ذكر نبيِّ الله موسى عليه السَّلام الذي أرسله الله هدًى لبني إسرائيل، ثم ذكر الله ما تفضَّل به عليهم بأنْ جعلهم مِن ذريَّة مَن نجَّاهم الله من الطوفان فكانوا ممَّن حُملوا مع نوح عليه السَّلام في سفينته، فأبقاهم الله واستخلفهم في الأرض وأغرق غيرهم (السعدي، 2000م، 453/1)، وبعد ذكر هذه المِنَن الربَّانية لهم عطفَ الحديث عن خَطْب لم يذكره الله عزَّ وجلَّ إلا في هذا الموطن من القرآن، وهو يحمل أنباءً قرآنية غيبية ستحدث لبني إسرائيل لا محالة وهو ممَّا قضاه الله عليهم، وأعلمهم به في كتابه قائلا: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً{4} فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي

بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً{5} ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً{6} إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً{7}﴾[الإسراء: 4 . 7].

فهذه الآيات الكريمة تحمل في ثناياها الكثير من الغيبيات، ففي الآية الرابعة من السورة أعْلَم الله بني إسرائيل بإفسادين كبيرين، والآية الخامسة تحدَّثت عن الذين أزالوا إفسادهم الأول، وأمَّا الآية السَّادسة فتحدَّثت عن إمداد اليهود بالمال والبنين وتمكُّنهم في الأرض عند إفسادهم الثَّاني، والآية السَّابعة تخبرنا عن الذين سيُزيلون إفسادهم الثَّاني، وهذه الآيات اختلف العلماء والمفسِّرون القدامى والمحدَثون أيَّما اختلاف في تفسيرها، وتباينت آراؤهم بين من يرى أنَّ هذين الإفسادين قد وقعا في الزَّمن الغابر قبل بعثة النَّبي ﷺ وهو قول غالبية المفسِّرين بينما يرى البعض الآخر أنَّ أحدَ الإفسادين قد وقعَ قبلَ بعثة النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأنَّ الآخر وقعَ بعد بعثته صلَّى الله عليه وسلَّم، بينما القلَّة منهم يرون أنَّ الإفسادين سيقعانِ بعد نزول هذه الآيات، أيْ بعد بعثته صلَّى الله عليه وسلَّم، ولكلٍّ أدلته ورأيه في القضية.

"وهذه الآيات مما كثُر فيه الخلاف بين المفسِّرين، ولا يكثر الخلاف إلا إذا كان لذلك مبرِّراته، فما هما الإفسادان؟ ومتى كانا؟ ومن هم الأقوام الذين يسلّطون على بني إسرائيل مرَّة بعد مرَّة؟ وهل المراد بالكتاب: التوراة، أو القرآن، أو اللَّوح المحفوظ؟ وهل المرَّتان حدثتا أو أنَّهما ستحدثان بعد نزول القرآن، أو أنَّ واحدة حدثت من قبل، والثَّانية في طريقها؟ هذه كلُّها تحتاج إلى أجوبة دقيقة"(حوَّى، 1424هـ، 3037/6).

وسأعرض آراء المفسِّرين حول فهمهم لهذه الآيات المتحدِّثة عن الإفسادين، ثم أعقبها بالنَّقد إن وُجد فيها مأخذ من المآخذ، لنخلُص في الأخير إلى الرَّأي الذي يتوافق مع النَّص القرآني وروحه، ويتناسق مع سياقه، ويتطابق مع الواقع المنظور، وهي في المحصِّلة ثلاثة آراء كالآتي:

1.4. **الرَّأي الأوَّل:** أنَّ الإفسادين وقعا قبل بعثة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: وهو رأي جمهور المفسِّرين القدامى، والمحدَثين، فقد اتَّفقوا على أنَّ الإفسادين المذكورين في الآيات السَّالفة الذِّكر قد حدثا فعلاً في تاريخ بني إسرائيل القديم، ولا يحكيان تاريخاً مستقبليّاً، وأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد عاقبهم على كلِّ واحدة منهما، مع اختلافهم الشَّديد في تحديد فترة وقوعهما، ونوع إفسادهما، وفي من سلَّطه الله عليهم.

ومن القائلين بهذا القول من القدامى: الطبري (2000م، 357/17 .365)؛ والزمخشري (1407هـ، 648/2)؛ والرَّازي (1420هـ، 302.291/20)؛ والقرطبي(1964م، 222.215/10)؛ والبيضاوي (1418هـ، 248/3 . 249)...

ومن المحدَثين: ابن عاشور(1984م، 28/15 . 38)؛ ومحمد سيد طنطاوي (1998م، 297/8 . 301)؛ والزحيلي (1418هـ، 24/15)...

ومدار أدلّتهم كلُّها قائم على الرِّوايات الإسرائيلية المطوَّلة والتي لا يُعوَّل على واحدة منها لشدَّة اختلافهم سلفًا وخلفًا على أزمنة وقوع الوَعدين، وعن المسلَّطين عليهم بأعيانهم، ولتوسُّعهم بذكر أدقِّ التَّفاصيل والجزئيات عن هذه الغيبيات الماضية وورودها بصيغة التَّضعيف والتَّمريض: "قِيلَ وقيلَ"، كما أنَّ معظم هذه الروايات ساقها الطَّبري في تفسيره، ثم تناقلها المفسِّرون من بعده دون تمحيص ولا تدقيق، ولا تعلُّق لواحدة منها بغرض من أغراض تفسير القرآن.

وقد ردَّ هذا الرَّأي كثير من العلماء وهذه نصوصهم كالآتي:

. "قد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لَمْ أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأنَّ منها ما هو موضوع، من وضع زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحًا، ونحن في غُنيةٍ عنها، ولله الحمد. وفيما قصَّ الله تعالى علينا في كتابه غُنية عمَّا سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوِّجنا الله ولا رسوله إليهم"(ابن كثير، 1420هـ، 47/5).

. "إنَّه لم يصح عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حديث في بيان المراد بالعباد الذين سلَّطهم الله على بني إسرائيل عقب مرَّتي إفسادهم"(سيد طنطاوي، 1998م، 301/8).

. "وتركنا بسط قصَّة الذين سُلِّطوا عليهم في المرَّتين، لأنَّها أخبار إسرائيلية، وهي مشهورة في كتب التَّفسير والتَّاريخ" (الشنقيطي، 1415هـ،16/3).

وممَّا يُلاحظ على هذا الرَّأي أيضا:

1. أنَّه لم يتوقَّع أحد من هؤلاء المفسِّرين، ولم يَدُر في خلده بأنْ تقوم لبني إسرائيل دولة في مستقبل أيَّامهم، وأنْ يكون لهم رِفعة، وعُلوٌّ، وشأنٌ، وإفساد كبير في الأرض بعد أن كانوا مستضعفين مشرَّدين ممزَّقين في الأرض أُمَمًا لقرون.
2. كما أنَّ التَّاريخ يشهد أنَّ بني إسرائيل لم يسبق لهم علوّ وشأن ورفعة كما هم عليه الآن، وأنَّ ما ساقوه من أخبار في هذا الشَّأن يتنافى مع الحقائق التَّاريخية، ومخالف لنصِّ الآية: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾.

"فالقول بأنَّ إفسادهم الأوَّل كان لقتلهم زكريا، وأنَّ المسلَّط عليهم ملك النَّبط ومع «بختنصر» يتنافى مع الحقائق التَّاريخية، وفضلا عن ذلك، فإنَّ هذا الأثر اضطرابه ظاهر" (طنطاوي1998م، 297/8).

3. كما أنَّ هذا الرَّأي يخلو من التَّوافق اللُّغوي والبياني لمفردات الآيات، وحروفها الإعجازية الواردة في هذا الموضوع، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد في الوعدين الأوَّل والآخر أنَّهما قد تصدَّرا بجملة "فإذا جاء وعد"

والتي هي ظرف لما يستقبل، وجيء بها في صيغة الماضي لتحقيق وقوع ذلك (ابن عاشور، 1984م، 32/15)، ونفس الأمر نجده عند غالبية المفسِّرين الذين قالوا بأنَّ اللام في قوله تعالى: "لتفسدنَّ"، "ولتعلنَّ" هي للقسم التي تفيد معنى وقوع الشيء مستقبلا، كأنَّه قال: وأقسمنا لتفسدنَّ، ولتعلنَّ (الزمخشري، 1407هـ،649/2).

4. إذا كان هذان الإفسادان من بني إسرائيل قد وقعا في الزَّمن الماضي، وتحقَّق وقوعهما، وعَلِمهما النَّاس وتناقلاهما، فَلِمَ القسم وتأكيد الخبر بالنُّون الثَّقيلة!، ولِمَ يخبر الله عنه في كتابه على أنَّه سيكون، وقد كان بالفعل!
5. ومما يُضعف الاعتماد على هذا الرَّأي أنَّ الله خصَّ المسلَّطين على بني إسرائيل في الوعدين بالتَّشريف والتَّكريم حيث نَسَبهم وأضافهم إلى نفسه سبحانه فَهُم من عباده المؤمنين الذين سيحقِّق الله بهم النَّصر على بني إسرائيل، ومن هنا لا يعقل أن يكون المسلَّطون من الوثنيين سواء كانوا من البابليين أو الرومانيين . كما ذكر ذلك أصحاب الرَّأي الأول . الذين لا ينطبق عليهم وصف "عبادًا لنا".

ولا ريب أنَّ ما لا يجوز مخالفته من كلام المفسرين هو ما تمَّ به تفسيرُهم لدلالات الألفاظ وبيانُهم لتراكيبها، وكذلك ما نقلوه من الأخبار على سبيل الجزم والقطع كالحقائق التَّاريخية، أمَّا ما نُقِل بصِيَغ محتمِلة، أو بِصيَغ التَّمريض، أو اختُلف في صحَّتها، أو تضاربت آراؤهم فيها، أو ما كان على سبيل الرَّأي والاجتهاد فلا يعدُّ مخالفته خرقا للإجماع؛ بل يبقى في دائرة البحث والنَّظر، فالعبرة إذا ليست بمجموع من قالوا، وإنَّما بصحَّة ما نُقل، وبما وافق الواقع.

وقد أعجبني في هذا الصَّدد كلام صلاح الخالدي حيث قال: نجيز لأنفسنا أن نخالف جمهور العلماء والمفسِّرين من السابقين، في فهم وتفسير هذه الآيات، وفي تحديد إفسادَي بني إسرائيل، وليست أقوال الطَّبري أو غيره من علماء التفسير ملزمة لنا، طالما أنَّها اجتهادات في فهم الآيات، اعتمدت على الإسرائيليات التي نرفضها، وعلى روايات تاريخية لم تثبت تاريخيا، ولا علميًّا، ولم يعتمد الطَّبري ولا العلماء السَّابقون على حديث واحد صحيح ملزم عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في تحديد الإفسادين.

إنَّنا نخالف جمهور علماء التَّفسير السَّابقين، مع إجلالنا لهم، واحترامنا وتقديرنا لعلمهم.

ولعلَّه من العذر الذي نعتذر به عنهم أنَّهم كانوا يعيشون في زمنٍ كان الحكم والسَّيطرة والسُّلطان للإسلام والمسلمين، وكان المسلمون أقوياء يحكمون النَّاس، وكان اليهود في ذلك الوقت أذلاَّء مستضعفين، وكانوا أفرادًا قلائل ضائعين وسط الوجود الإسلامي الكبير، وكانوا خاضعين خضوعا كاملا للمسلمين.

لذلك ما كان أحد من أولئك العلماء السُّعداء الذين سعدوا بالحياة في ظلال حكم الإسلام، وقوَّة وعزَّة المسلمين، ما كان يتوقَّع أو يتخيَّل أن يصبح هؤلاء اليهود الذين يراهم أمامه على ذلك الضُّعف والتَّشتت والهوان، أن يُصبحوا أصحاب دولة وسلطان، وأن يهزموا المسلمين، وأن يأخذوا منهم فلسطين، ولذلك ذهب هؤلاء العلماء إلى أنَّ إفسادَي اليهود قد وقعا قبل بعثة محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

لذلك لا بدَّ من إعادة النَّظر في فهم نصوص الآيات التي تتحدَّث عن إفسادَي بني إسرائيل، ولا بدَّ من إعادة فهم أحداث التَّاريخ على ضوء كلمات الآيات، ولا بدَّ من القول بما توحي به هذه الآيات والأحداث التَّاريخية، ومن ثمَّ لا بدَّ من تقديم فهم وتفسير جديد معاصر للآيات (الخالدي، 1995م، ص153 . 154).

2.4 . **الرأي الثاني:** أنَّ الإفسادين وقع أحدهما قبل بعثة النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم، والآخر وقع بعد بعثته صلَّى الله عليه وسلَّم: وأصحاب هذا الرَّأي هم قلَّة من المعاصرين أمثال: أبو زهرة (1987م، 4337/8)؛ وعبد الكريم الخطيب (1390هـ، 8/ 447 . 450)؛ وبسّام جرَّار (1996م، ص 28 . 38).

فهُم بذلك قد اتَّفقوا مع أصحاب الرَّأي السَّابق في تفسيرهم لمعنى الإفساد الأوَّل، بينما يرون أنَّ الإفساد الثَّاني قد وقع في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودليلهم أنَّ الله عزَّ وجلَّ ذكر "بيت المقدس" باسم "المسجد" في المرَّة الثانية ولم يذكره في المرَّة الأولى، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنَّ المرَّة الثَّانية التي يقع فيها الإفساد الكبير من بني إسرائيل إنَّما يكون في العهد الإسلامي، وفي الوقت الذي يكون فيه بيت المقدس مسجدا للمسلمين.

واستدلوا أيضًا باختلاف صيَغ الأفعال الواردة في الوَعدين المذكورين، ففي الوعد الأوَّل جاءت صيغة الأفعال عند نزول الآيات معبَّرا عنها بلفظ الماضي، «بعثنا.. جاسوا».. بينما في الوعد الثَّاني جاءت صيغة الأفعال عند نزول الآيات مضارعة لتفيد الحال والمستقبل: «ليسوؤوا، ليدخلوا، ليتبِّروا»، ولو تساوت المرَّتان في الوقوع، أو عدم الوقوع عند نزول الآيات، لم يكن لهذا الاختلاف فيهما سبب ظاهر، وهذا أبعد ما يكون عن بلاغة القرآن وإعجازه، حيث لا تجيء كلمة أو حرف فيه، إلا ومعها ما لا حصر له من أسرار.

وممَّا استندوا إليه أنَّ أسلوب الالتفات الواقع في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ برأيهم هو خطابٌ للنَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم حيث كان الخطاب في الوعد الأوَّل موجَّها لبني إسرائيل ثم انتقل بعده إلى خطاب النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه، وردِّ الكرَّة للنَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم معناه ردُّ الدَّولة إليه صلَّى الله عليه وسلَّم (أبو زهرة، 1987م، 4337/8).

مناقشة هذا الرَّأي:

1. القول بأنَّ "المسجد" في القرآن لا يطلق إلاَّ في فترة العهد الإسلامي مجانبٌ للصَّواب؛ لأنَّ القرآن قد أطلق مسمَّى المسجد على مكان العبادة قبل العهد الإسلامي، كما جاء ذلك واضحًا في معرض قصَّة أصحاب الكهف حيث يقول تعالى: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾، فلا يقتصر تسمية المسجد في القرآن على العهد الإسلامي فقط.
2. إنَّ تبنِّي هذا الرَّأيَ يجعلُ القومَ المسلَّطينَ على بني إسرائيل في المرَّة الأولى غيرَ القومَ المسلَّطينَ عليهم في المرَّة الثانية، وهذا مخالفٌ لظاهر نَظْمِ الآيات الكريمة؛ فإنَّ سياقَها واضحٌ في أنَّها تتحدَّثُ عن صِراعِ أمَّةٍ واحدةٍ مع اليهود، بدليل الضمائر المذكورة في عقوبة الإفساد الثاني: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾، ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وهذه الأمَّةُ الواحدة المُسَلَّطةُ على بني إسرائيل في الإفسادَين لا بدَّ أنْ تكون هي الأمَّةَ الإسلامية؛ لأنَّه لم يحصُل لقومٍ قبلَ الإسلام أنَّهم غَزَوا بني إسرائيل مرةً ثانية، وهذا من أقوى الاعتراضات على القولِ بوقوع الإفسادَيْنِ أو أحدِهما قبل الإسلام (أحمد والحوري، 2015 م، ص462).
3. لم يحدِّثنا التَّاريخ أنَّه كانَ لبني إسرائيل كرَّة أخرى على الأقوام الذين سُلِّطوا عليهم أوَّل مرَّة، أو سبق لهم قوَّة وتمكين قُبَيْل إفسادهم الثَّاني.
4. آيتا الإفساد تحدَّثتا عن المستقبل، الذي يدلُّ عليه الشرط: «إذا».. وهذا يعني أنَّ المرَّتين على السَّواء في جانب تعلُّقِهما بالمستقبل وقت نزول القرآن الأمر الذي يجعل القولَ بأنَّ إحداهما قد وقعت، والأخرى لم تقع.. قولٌ لا حجَّة عليه، ولا مبرّر له.
5. نظمُ الآيتين واحدٌ لا اختلاف فيهما، فوجب أن يكون مؤدَّاهما واحدًا، فما دام أصحاب هذا الرَّأي حكموا على الوعد الثاني بوقوعه في المستقبل كان الأحْرَى بهم أيضًا أن يحكموا على الوعد الأوَّلي بذلك؛ لاتِّحادهما في النَّظم، لقوله تعالى: "فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا" مطابق في النَّظم مع قوله تعالى: "فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ".
6. لم يُذكَر المسجد الأقصى في الوعد الأوَّل لاَ لِأَنَّ الإفساد الأوَّل وقع في فترة الوثنية قبل بعثته صلَّى الله عليه وسلَّم؛ بل لأنَّه وقع زمن الإسلام ولم يكن المسجد الأقصى حينها في يَد بني إسرائيل، وإنَّما كان في يد النَّصارى عندما فتحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بينما في الوعد الثَّاني فقد ذكر الله فيه المسجد

الأقصى لأنَّه سيكون أسيرا بيَد بني إسرائيل حتَّى يبعث الله عليهم من يفكُّ أسره منهم، وينتزعه من أيديهم، وفي هذا إعجاز غيبي بليغ.

3.4 . الرَّأي الثالث: أنَّ الإفساد الأوَّل وقع بعد بعثته صلَّى الله عليه وسلَّم، والثَّاني واقعٌ في الزَّمن الحالي:

وقد تبنَّى هذا الرَّأي قلَّة من العلماء المعاصرين: كالشَّعراوي(1997م، 8341/14 . 8363)؛ وفضل حسن عباس (2000 م، ص113–131)؛ وصلاح عبد الفتاح الخالدي(1995م، ص150–181)؛ وأحمد نوفل (2010 م، ص7)؛ وعبد المعز عبد الستَّار (1957م، ص689).

وقد نصَّ هؤلاء على أنَّ الإفساد الأوَّل قد بدأ وقوعه فعلاً زمن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، وذلك حين أجْلى بني النَّضير، وبني قينقاع من المدينة، وفَرض عليهم الجزية وهم صاغرون، وقتل صلَّى الله عليه وسلَّم بني قريظة لمَّا غدروا به صلَّى الله عليه وسلَّم يوم الأحزاب، فجاس النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابُه ديارَهم، وفتح بعدها خيبر وضرب عليهم الجزية، ووصَّى النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم أصحابَه بإخراج اليهود والمشركين من الجزيرة العربية بقوله: «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إِلَّا مُسْلِمًا» (مسلم،1388/3، ح1767)، فكان هؤلاء الصَّحابةَ رضوان الله عليهم هم المقصودون بقوله تعالى: بعثنا عليكم عبادا لنا أُولي بأسٍ شديدٍ الذينَ سلَّطهم اللهُ على بني إسرائيل فجاسوا خِلال ديارهم، وكان وعداً مفعولاً، فكانت هذه العقوبة جزاء إفسادهم، وغدرهم، ونقضهم العهود مع الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم، وتواطئهم مع كفَّار قريش وغيرهم لقتال النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم كما حدث ذلك في غزوة الأحزاب.

أمَّا الوعد الثاني فهو الذي نعيش واقعه في عصرنا الحاضر، حيث هيمنوا على العالم وعَلَوا فيه علوًّا كبيرا، فلا يختلف على هذا اثنان، وما نراه اليومَ رأيَ العَيْن من الأموال التي تنهال عليهم من المشرق والمغرب، والهِجرات الجماعية إلى فلسطين من كلِّ حَدَبٍ وصوب، وغلبتهم على المسلمين وتمكُّنهم من المسجد الأقصى، وتمتُّعهم بكثرة النَّاصر والنَّافر لنجدتهم، ووقوف الدُّول العظمى في العالم على تحقيق مصالحهم، حتَّى أنَّه إذا مات الفرد الواحد منهم على أيدي المجاهدين المرابطين في أكناف المسجد الأقصى تداعى العالم بالشَّجب والنَّدب وأقاموا الدُّنيا ولم يقعدوها بموته.

يقول عبد المعز عبد الستار: وأطبقَ المفسرون على أنَّ ذلك الفسادَ والإفسادَ وقعَ منهم مرَّتيْنِ، في الماضي قبلَ الإسلام، أيامَ أنْ عَلَوْا وغَلَوْا وقتلوا الأنبياء، وكذَّبوا المرسلين، وإن اختلفَتْ أقوالُهم في ذلك اختلافاً كبيراً في تحديد نوعِ إفسادِهم الأول وزمنِه والمُسَلَّطِ عليهم فيه، وكذلك في الثاني، والذي يَعْنيني أنْ أَكْشِفَ عنه وأنْ أُثْبِتَه في هذا البحث أَمران:

الأول: أنَّ هاتيْنِ المرَّتَيْنِ لم تكونا قبلَ البعثة، وإنَّما هما في الإسلام.

الثاني: أنَّ المرَّةَ الأولى كانتْ على عهد رسول الله وأصحابه، والآخرةُ هي التي نحنُ فيها الآن، والتي سنسوءُ فيها وجوهَهم، وندخُلُ المسجد كما دخلْناه، وندمِّرُ فيها ما عَلَوْا تدميراً، إنْ شاء اللهُ ربُّ العالمين.

وأبادِرُ فأُطَمْئِنُ الذين يهولُهم هذا التَّخريج فيرَوْنَه مخالفاً للمأثور، أو المعروف من أقوال المفسِّرين إلى أنَّه لم يَصِحَّ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيه شيءٌ، وإلى أنَّ المأثورَ عن بعض الصَّحابة مضطَرِبٌ لا تقومُ به حُجَّة، وإلى أنَّ الأمرَ لا يعدُو أنْ يكونَ تاريخاً أو تأويلاً، لا يُقالُ في مخالفته إنَّه تحريفٌ للكَلِمِ عن مواضِعِه(عبد الستار، 1957م، ص673–674).

ويقول فضل حسن عباس: ونعجب أن يختلف المفسِّرون وبخاصة المحدَثين منهم حول تفسير هذه الآيات، فقد احتوت كتب التَّفسير على أقوال كثيرة في بيان هاتين المرَّتين، ونُنبِّه هنا على أنَّ أيَّ تفسير لكتاب الله جدير بالقبول حريٌّ بالأخذ، لا بدَّ أن يكون منسجماً مع السِّياق أوّلاً، متَّفقاً مع اللُّغة ثانياً، غير مخالف للمأثور الصَّحيح عن سيِّدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثالثا، والأقوال التي ذكرت في كتب التَّفسير على كثرتها لا تستند إلى أيِّ دليل من الأثر الصَّحيح عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من جهة، وهي غير منسجمة مع السِّياق من جهة أخرى، وأنَّ ما ذكره المفسِّرون من إفساد بني إسرائيل كان قبل الإسلام أيّاً كان زمنه لا ينسجم مع السِّياق ومع روح الآيات وتوجيهها...(عباس، 2000م، ص120).

أدلة أصحاب هذا الرأي: يمكن أن نعزِّز أدلَّة أصحاب هذا الرَّأي الذين يربطون تحققَّ الوَعدين بتاريخ الأمَّة الإسلامية، ونقدِّمه على الرَّأيين السَّابقين، ونؤيِّده وندعمه لاعتبارات كثيرة منها: انسجامه مع سياق الآيات الكريمة وروحها، ونظم الآيات المعجز، ودلالة الألفاظ وتراكيبها، وحروف المعاني ومبانيها الواردة في الآيات، وموافقته لمنهجية التفسير الموضوعي، ومطابقته لواقع النَّاس اليوم، وهذا ما سنقف عليه من خلال التفسير الآتي:

. قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾: القضاء هاهنا بمعنى الإعلام، والإشارة في تعريفهم بما سيكون في المستأنف منهم، وما يستقبلهم، ليزدادوا يقينا إذا لقوا ما أخبروا به، وليكون أبلغ في إلزام الحجّة عليهم، وليحترزوا من مخالفة الأمر بجحدهم، وليعلموا أنَّ ما سبق به القضاء فلا محالة يحصل وإن ظنّ التباعد عنه (القشيري، 2000م، 336/2)، فالله يُعلمهم في كتابه بشيء مستقبلي لم يقع بعد، وسيقع لهم لا محالة، ولا يعقل أن يعلمهم بشيء مضى لأنَّهم قد عرفوه وعَلِموه.

. ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: هذا الخطاب متوجِّهٌ إلى ذلك الكيان القائم تحت اسم (إسرائيل)، ولم يقم تحت اسم (اليهود) أو دولة (يهوذا)... الأمرُ الذي يجعلُ من العسير أنْ تدخلَ تحت حكم هذه الآية، لو أنَّها اتخذت

أيَّ اسم آخر غيرَ هذا الاسم.. وهذا إعجازٌ من إعجاز القرآن(الخطيب،1390هـ، 455/8)، ولو أنَّه في الأصل يجب أن يطلق عليها كيانُ بني إسرائيل، وليس كيانُ إسرائيل، لأنَّ الله أَعْلم إلى بني إسرائيل وليس إسرائيل، كما أنَّ إسرائيل في القرآن هو يعقوب عليه السَّلام ولا علاقة له بهذين الإفسادين؛ بينما المعنيُّون به هم بَنُوه.

. ﴿فِي الْكِتَابِ﴾: أي في القرآن (حوَّى، 1424هـ، 3040/6)، وإذا كان المراد به التوراة، وقد سبق ذكره في آيةٍ ماضية فلماذا لم يقل (وقضينا إلى بني إسرائيل فيه) على اعتبار أنَّه مذكور سابقاً؟ وإذا كان المقصود بالكتاب هو اللَّوح المحفوظ فأيُّ معنى لتخصيصه بالذِّكر هنا، والتَّنصيص عليه هنا، مع أنَّ هذا الإفساد وغيره من أحوال الأمم فرادى وجماعات كلُّه مسطور في اللَّوح المحفوظ؟

وعليه فإنَّ جملة ﴿وقضينا﴾ هي جملة استئنافية، يراد بها توجيه النَّظر إلى ما سيحدث لبني إسرائيل مع أمَّة الإسلام في مستقبلها، فهي خبر جديد ليس كالأخبار السَّابقة، وقد جاء الإعلام به في القرآن.

. ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾: اللَّام في" لَتُفْسِدُنَّ وَلَتَعْلُنَّ " لام قسم مضمر. ﴿عُلُوّاً كَبِيراً﴾ أراد التَّكبر، والبغي، والطُّغيان، والاستطالة، والغلبة، والعدوان" (القرطبي،1964م، 214/10).

ومعلوم أنَّ بني إسرائيل مفسدون بل يسعون إليه سعيًا كما قال تعالى حاكيا عنهم: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[المائدة: 64]، ومظاهر إفسادهم المذكورة في القرآن متعدِّدة وكثيرة كاتِّخاذهم العجل وعبادته بعد أن نجَّاهم الله من فرعون، وقتلهم الأنبياء بغير حق، وتحريفهم لكُتب الله المنزَّلة، وقدحهم في الذَّات الإلهية... ولكنَّ الإفسادين المخصوصين بالذِّكر في الآيتين سيكونان أبلغ، وأشدُّ، وأعظم إفساد على وجه الأرض كالذي نعيشه في هذا العصر الحالي حيث تمكَّنوا من اقتصاد العالم فجعلوه رَبويًّا، وتمكَّنوا من الإعلام العالمي فضربوا به الدِّين وشوَّهوه، ومسخوا به القِيم والأخلاق، وتمكَّنوا من القوَّة فهدَّموا بها دولا وحضارات، واستحلُّوا بها الدِّماء والأعراض، واستولَوا على المقدَّسات ودنَّسوها وبغوا على أهلها....

. ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا﴾: معلوم أن (إذَا) الظَّرفية الشَّرطية تتعلّق بما يتحقّق وقوعه في المستقبل، كما تقول: إذا جاء فلان أكرمته، فهذا دليل على أنَّ أولى الإفسادين لم يحدث بعد وقت نزول الآية، فلا يستقيم القول بأنَّ الفساد الأوَّل جاء في قصَّة طالوت وجالوت، وأنَّ الإفساد الثَّاني جاء في قصَّة بختنصر(الشعراوي، 1997م، 8353/5).

. ﴿فَإِذَا جَاء﴾: الفاء هنا تفيد مجيء العقوبة بعد فساد الأولى مباشرة، أي: "إفساد فعقوبة" من غير فاصل زمني طويل بينهما، وهذا ما يؤكِّده الواقع التَّاريخي في زمن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم إذ كذَّبه اليهود وغدروا به،

وتحالفوا مع أعدائه، فدخل النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابُه حصونَهم وبيوتَهم، فجاس فيها، فأجلاهم إلى الشَّام ﴿بوكعباش، 2010 م، ص290).

فالآيات التي ذكرت الإفسادين مكيةٌ؛ فالمرَّتان ستقعان بعدَ العهدِ المكي، أولاهما قريبة بدليل فاء التعقيب الفُجائية، أمَّا الثَّانية والأخيرة فبعيدة بدليل استعمال حرف "ثمّ".

يقول الشعراوي: افهموا قول الحق: {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا} وكلمة «وعد» لا تأتي لشيء يسبق الكلام؛ بل الشَّيء يأتي من بعد ذلك. إذن فلم يكن ذلك في زمان بختنصر. فـ «إذا» الموجودة أولاً هي ظرف لما يُستقبل من الزَّمان، أي بعد أن جاء هذا الكلام(الشعراوي، 1997م، 3052/5).

. وقوله: ﴿وَعْدُ﴾ والوعد كذلك لا يكون بشيء مضى، وإنَّما بشيء مستقبل.

. ﴿أُولاهُمَا﴾ أي: الإفساد الأوَّل، وقد حدَّد القرآن زمن وقوعه، وذلك في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) [الحشر: 2]، وهذا هو الفساد الأوَّل الذي حدث من يهود بني النَّضير، وبني قَيْنقاع، وبني قريظة، الذين خانوا العهد مع رسول الله (الشعراوي،1997م، 8352/13).

. قوله: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا﴾، وفي هذه العبارة دليل آخر على أنَّ الإفسادين كانا في حضن الإسلام؛ لأنَّ كلمة "عِبَاداً" مضافة إلى الله ﷻ لا تطلق إلاَّ على المؤمنين، فالكلمة يراد بها الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم وصحابتُه الكرام الذين أزالوا إفساد اليهود الأوَّل من المدينة المنوَّرة، أمَّا الذين سُلِّطوا على اليهود قبل الإسلام فهم كفَّار ولا يمكن أن ينسبوا إلى عباد الله المكرمين.

وهذا الاتجاه يقوِّيه أنَّ كلمة عِباداً لَنا تشعر بأنَّهم المسلمون فهم العباد الحقيقيون لله (حوَّى، 1424هـ، 6/ 3040 . 3041).

. ﴿فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ﴾ أي: أنَّ الصَّحابة احتلُّوا ديار اليهود، وحطَّموا كيانهم، وتغلغلوا في ديار بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة، ويهود خيبر، وفدك، وتيماء، وأزال كيانهم الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم ثم أجلاهم عمر بن الخطاب في خلافته من الجزيرة العربية امتثالا لأمر النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم لهم: «لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ» (أحمد، 1421هـ، 371/43، ح26352).

وقد بيَّن القرآن هذا الجَوْس خلال ديار اليهود فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ [الأحزاب: 26 . 27].

.﴿وَكانَ وَعْداً مَفْعُولًا﴾ لا يُخلّف ولا يُكذّب.

.﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾: "ثمَّ" تفيد التَّراخي الرُّتبي، والتَّراخي الزَّمني معًا (ابن عاشور،1984م، 32/15)، وهذا التَّراخي يتَّسِعُ لحقَبٍ طويلة، فهي دالَّةٌ على المدَّة الزَّمنية الممتدَّة من عصر الصَّحابة إلى عصرنا الحاضر أي: ما يقارب أربعة عشر قرنًا.

وأكثر المفسِّرين على أنَّ الخطاب هنا لبني إسرائيل بدليل السِّياق المتحدِّث عنهم (المراغي، 1946م، 14/15)، فالضمائر في قوله تعالى: (لكم، وأمددناكم، وجعلناكم) تعود على بني إسرائيل، بينما الضَّمير في قوله تعالى: "عليهم" عائد على الذين سُلِّطوا على بني إسرائيل في المرَّة الأولى وهم من أحفاد الصَّحابة والمقصود بهم المسلمون، فيكون معنى ردّ الكرَّة عليهم أنَّ بني إسرائيل أَخَذوا مكان القوَّة، على حين نزل القوم الذين ابتلاهم الله بهم إلى حال أشبه بتلك الحال التي كان عليها اليهود من الذِّلة والهوان (الخطيب،1390هـ، 447/8).

ويمكن أن نحدِّد بدايات تشكُّل قيام كيان بني إسرائيل، واستعادة قوَّتها، ولمِّ شتاتها بعد أن كانوا أذلاَّء لقرون كان ذلك عقب انهيار الخلافة العثمانية، وتقسيم تركة ما يسمَّى بالرَّجل المريض، وضعف قوة المسلمين، وغزو الشُّيوعية للبلدان الإسلامية، واستبدال أحكامهم الشَّرعية بالمدنية، فحينها تمكَّن اليهود منَّا واغتصبوا أرض فلسطين عام 1948 م، وردَّ الله الكرَّة لهم على حساب الأمَّة الإسلامية، ولا يزالون يُعلون، ويتوسّعون، ويبنون المستوطنات، وينهبون مقدَّرات الشعب الفلسطيني الأبيِّ الذي سينسف ويدمِّر كل ما أعلته بنو إسرائيل وما ذلك ببعيد.

.﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾: وفعلاً أمدّهم الله بالمال، وهو أمر جليٌّ واضح للعيان حتَّى أصبحوا أصحاب رأس المال في العالم كلِّه، فتمكَّنوا من السَّيطرة على الأسواق المالية العالمية كسوق العملات، والنِّفط، والذَّهب الأصفر والأخضر حتَّى صاروا يستعملونه كأداة لحصار دول أعدائهم وضرب اقتصادهم، كما أمدّهم بالبنين الذين نشاهد هجراتهم الجماعية إلى أرض فلسطين.

.﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾: فالنَّفير مَنْ يستنفره الإنسان لينصره، والمراد هنا الدُّول الكبرى التي ساندت اليهود وصادمت المسلمين، كما هو الحال الآن إذ تستطيع دولة إسرائيل أن تحشد جيشًا كبيرًا وتستنفر العالم من ورائها (الشعراوي،1997م، 8362/14؛ حوَّى،1424هـ، 3040/6).

يقول عبد المعز: أمدَّهم الله تعالى بعد هذه المدَّة الطَّويلة بثلاثٍ ما أُمِدّوا بمثلها في تاريخهم:

1- بأموال تتدفَّق عليهم من أقطار الأرض على ما أرادوا من صعبه أو سهله.

2- بنين مهاجرين ومقاتلين ينتخبون لحماسهم وصلاحيتهم لبناء دولتهم.

3- وجعلناكم أكثر نفيرا: ولم تكن اليهود في يوم مَا أكثر نفيرا وناصرا منهم اليوم، ولم يتمتَّع اليهود في تاريخهم، ولا أمَّة في الأرض غيرهم، بمثل ما يتمتَّعون به من كثرة النَّاصر والنَّافر لنجدتهم، إذا غضبوا غضبت لهم أمريكا وإنجلترا وفرنسا وأمم الغرب جميعاً، وإن دعوا أجابهم الظَّالمون وتنادوا لنصرتهم، لقد اتَّفق المشرق والمغرب – ولم يتَّفق يوماً – على إنشاء إسرائيل وتقسيم فلسطين، وسكتوا –ولم يسكتوا يوماً– على مأساة اللاجئين والمنكوبين والمتشرِّدين (عبد المعز، 1957م، ص689).

ويتَّصِفُ العُلُوُّ اليهوديُّ بإمداد اليهود بالمال والبنين، وسيكونونَ أكثرَ نفيراً، ولم يكُنْ لليهود مثلُ هذا الإمداد فيما جرى لهم من إفسادٍ فيما مضى. وقد تحقَّقَ هذا الإمداد، وأصبحَ اليهودُ مع قِلَّتِهم أكثرَ نفيراً؛ فبقُدرَتهم أنْ يَحشِدوا جيشاً يزيدُ في تَعدادِه على جيوش العرب مجتمعة (الأشقر، 2010م، ص168).

ولكن هذا العلوُّ الكبير الذي تستَأسد به إسرائيل على الأمَّة الإسلامية ما هو في الحقيقة القرآنية إلا إيذانٌ بزوالها، وقُرب تحرير المسجد الأقصى، وتسريعُ تدمير كيانهم (مسلم ، 1999م، ص6).

.﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: وكأنَّ مجيء هذه الآية بين الإفسادين إيذانٌ بأنَّ سبب تهجير بني إسرائيل والتَّنكيل بهم في الوعد الأوَّلي، وسببَ إهلاكهم وإلحاق الهزيمة بهم في الوعد الثاني منشؤه من الإساءة في العمل، ومجانبتهم الإحسان، فهذه القاعدة كما يقول سيد قطب: لا تتغيَّر في الدنيا ولا في الآخرة، والتي تجعل عمل الإنسان كلّه له، بكلِّ ثماره ونتائجه، وتجعل الجزاء ثمرة طبيعية للعمل، منه تنتج، وبه تتكيَّف وتجعل الإنسان مسؤولا عن نفسه، إن شاء أحسن إليها، وإن شاء أساء، لا يلومنَّ إلا نفسه حين يحقُّ عليه الجزاء، فإذا تقرَّرت القاعدة مضى السِّياق يكمل النُّبوءة الصَّادقة (سيد قطب،1412هـ، 2214/4).

.﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ﴾: وردت هذه الآية في سورة الإسراء مرَّتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ﴾[الإسراء: 7]، وقوله: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾[الإسراء: 104،] وقد سمَّاهما الله عزَّ وجلَّ في كلتا الآيتين بالآخرة ولم يقل "فإذا جاء وعد الثانية" التي هي في مقابل وعد الأولى، وذلك لأنَّ الوعد الثَّاني هو الآخرة والأخير الذي لا يعقُبه علوٌّ لهم ولا قوَّة، ولن تقوم لهم قائمة بعدها، فهي فرصتهم الوحيدة والأخيرة التي يتمكَّنون فيها من إقامة دولتهم الزَّائلة، ويسيطرون فيها على العالم.

وتفسير مجيء وعد الآخرة بما كان قبل نزول القرآن هو رأي جمهرة المفسِّرين القدامى الذين يُعذرون على هذا التَّفسير؛ بينما يبقى العَتب واللَّوم على المفسِّرين المحدَثين الذين عايشوا هذا العصر ويَرَوْن فيه تحقُّق هذه الآيات بتفاصيلها ودقائقها على أرض الواقع يومًا بعد يوم، ولربَّما كانوا ممَّن يئنُّون تحت إفساد اليهود، ويشاهدون علوَّهم على كافة الأصعدة، ويعلمون أنَّهم يُمَدُّون بأموال وبنين من قبل حلفائهم، وأنَّهم أكثر نفيرا.

ولقد شهد آباؤنا الهجرات الجماعية لليهود إلى أرض فلسطين في الأربعينيات من القرن الماضي ولا تزال تلتحق قوافلهم من القارات الخمس إلى أرض الميعاد وهو عين ما أفاده معنى قوله تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ أي: من هَاهُنا وهَاهُنا، وكلّ جانب (الفرّاء، 1955م، 132/2).

يقول الشعراوي: والمجيء بهم لفيفاً إنَّما يعني أن يجمعهم في وطن قومي لتأتي لهم الضَّربة القاصمة التي ذكرها الحق سبحانه في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ المسجد كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً﴾[الإسراء: 7](الشعراوي، 1997م، 10/ 6193).

ومعنى الآية: أنَّهم إذا أفسدوا في المرَّة الأخيرة، بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم، فالآخرة صفة للمرَّة، ومعنى يسوءوا: يجعلونها تظهر فيها آثار الشَّرِّ والسَّوء، كقوله تعالى: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك:27]. واللَّام لاَمُ كَي وهي تتعلَّق بمحذوف "بعثنا عليكم عبادا لنا" لدلالة الإفساد الأوَّل عليه، وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ يعني: بيت المقدس. وَلِيُتَبِّرُوا من التَّبار، وهو الإهلاك وشدّة الفساد. ما عَلَوْا ما مفعول ليتبروا: أي يهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد (ابن جزي، 1416هـ، 442/1).

وهذه الوعود القرآنية للقضاء عليهم لن تتأخَّر طويلا بدليل مجيء حرف "الفاء" الفجائية في بداية رأس الآية، التي تفيد سرعة وقوع الوعد.

وهذا التفسير الذي ذكرناه في بحثنا وعوَّلنا عليه، وجدنا . ولله الحمد . من يؤيِّده من المفسِّرين المعاصرين فقد أكَّده صاحب الأساس في تفسيره حيث قال: فيكون معنى الآيات وَقَضَيْنا إلى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ أي: في القرآن. لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً. أي: لتطغن طغيانا كبيرا. فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما. أي: الإفسادة الأولى. بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا هم الصحابة. أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ. أي: سيطروا عليها سيطرة تامة وَكانَ وَعْداً مَفْعُولًا. ثُمَّ بعد مئات السنين رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ على المسلمين بأن جعلنا لكم الغلبة، وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ، وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً كما هم الآن فهم أغنياء ويستطيعون استنفار العالم ضدنا. إِنْ أَحْسَنْتُمْ بالدخول في. الإسلام ومتابعة محمد صلَّى الله عليه وسلَّم أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ برفض الإسلام فَلَها فنفع أعمالكم عائد إليكم. فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ. أي: فإذا جاء وعد الإفساد الآخر ليسوء المسلمون وجوهكم. وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ أي: الأقصى مستردِّينه منكم كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ كما أخذوه الأخذة الأولى يوم فتح القدس عمر، وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا وليهلكوا في علوهم تَتْبِيراً أي: إهلاكا (حوّى، 1424هـ، 6/3040 .3041).

ولكنَّ السؤال الذي يطرح نفسه: من هم العباد الذين سيُسلِّطهم الله على بني إسرائيل في الإفساد الثاني؟ ولو أنَّ الجواب عليه يأخذ منَّا صفحات كثيرة وهو خارج عن مضمون البحث، إلاَّ أنَّ الذي يمكن ذكره قبل وضع قلمي أنَّهم أهل القرآن، نعم هُم أهل القرآن الذين يتُوقون للتغلُّب على بني إسرائيل لنيل الشَّرف والشَّهادة، والدَّليل على ذلك أنَّ سورة الإسراء هي السُّورة الوحيدة في القرآن الكريم التي جاء فيها ذكر لفظة "القرآن" ثمان مرَّات عدا ضمائره، وأسمائه، وأوصافه الأخرى، وفي هذا أبلغ إشارة إلى أنَّهم هم الذين سيسوءون وجوه اليهود، ويحرِّرون المسجد الأقصى، ويهدِّمون كيانهم وكلَّ ما علوه من بنايات ومستوطنات.

5. خاتمة:

نخلص مما سبق أن إفسادي بني إسرائيل كانا بعد بعثة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يكن أحدهما أو كلاهما قبل بعثته صلَّى الله عليه وسلَّم ويشهد لذلك السِّياق ومدلولات الألفاظ البيانية، والواقع المعاش المطابق لما ذُكر في الآيات، وكان تحديد زمان الوعد الأوَّلي المذكور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا﴾، قد بيَّنه القرآن نفسه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فقد ابتدأ تحقُّق وقوعه فعلا زمن النَّبي صلَّى الله عليه وسلَّم وامتدَّ إلى زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهذا ما سمَّيناه بالإعجاز الغيبي المستقبلي القريب.

أمَّا عن تحديد زمان الإفساد الثاني والعلوِّ الكبير، فإنَّنا قد توصَّلنا إلى ما لا مجال للشك فيه أنَّنا نعيش أوَانه وعصره، وأنَّ هذا من قبيل الإعجاز الغيبي المستقبلي الذي لم يتحقَّق وقوعه سوى ما نشاهده الآن، كما أنَّ إنهاء هذا الإفساد الأخير لبني إسرائيل سيكون قطعا على أيدي عباد الله الصالحين، الذين يفتح الله بهم مسجده الأقصى، ويُلحقوا الهزيمة والسَّوْء بإسرائيل، وما ذلك ببعيد، وواجبنا نحن تجاه هذا الوعد الأخير هو نشر الوعي، والعمل على دفع هذا الظُّلم والطُّغيان، وتقوية جانبنا كمسلمينَ بالعلمِ والقوّةِ والوحدةِ والنفوذ؛ لعلَّ الله يحقِّق بِنا وعده ونصره على أعدائه، ويحرِّر بنا مسجده الأقصى ويرزقنا الصَّلاة فيه.

6. قائمة المراجع

1. ابن جزي. (1416هـ). التسهيل لعلوم التنزيل. بيروت: دار الأرقم.
2. ابن عاشور. (1984م). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
3. ابن فارس. (2002م). معجم مقاييس اللغة. اتحاد كتاب العرب.
4. ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر.
5. أبو بكر محمد بن عزير السجستاني. (1995م). غريب القرآن. سوريا: دار قتيبة.
6. أبو زهرة. (1987م). زهرة التفاسير. القاهرة: دار الفكر العربي.
7. أحمد. (1421هـ). مسند الإمام أحمد. بيروت: مؤسسة الرسالة.
8. إسماعيل بن عمر ابن كثير. (1420هـ). تفسير القرآن العظيم. الرياض: دار طيبة للنشر.
9. الأصفهاني. (1412هـ). المفردات في غريب القرآن. دمشق: دار القلم.
10. الألوسي. (1415هـ). روح المعاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
11. الإمام مسلم. صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
12. الباقلاني. (1997م). إعجاز القرآن. مصر: دار المعارف.
13. البخاري. (1422هـ). صحيح البخاري. بيروت: دار طوق النجاة.
14. البيضاوي. (1418هـ). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
15. الترمذي. (1975م). سنن الترمذي. مصر: مصطفى البابي الحلبي.
16. الجمل محمد أحمد، و أحمد رضا الحوري. (2015م). آراء المفسرين في إفسادَتَيْ بني إسرائيل من خلال سورة الإسراء – دراسة وتقويم. المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية ، الصفحات 449 – 473.
17. الحسين مسعود البغوي. (1420هـ). معالم التنزيل في تفسير القرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
18. الرازي. (1995م). مختار الصحاح. بيروت: مكتبة لبنان.
19. الرازي. (1420هـ). مفاتيح الغيب. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
20. الزبيدي. (1965م). تاج العروس. الكويت: دار الهداية.
21. الزمخشري. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الكتاب العربي.
22. السيوطي. (1974م). الإتقان في علوم القرآن. مصر: الهيئة العامة المصرية للكتاب.

23. الشعراوي. (1997م). تفسير الشعراوي. مصر: مطابع أخبار اليوم.
24. الشنقيطي. (1415هـ). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر.
25. الطبري. (2000م). جامع البيان في تأويل آي القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.
26. الفرَّاء. (1955م). معاني القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.
27. القاضي عياض. (1407هـ). الشفا بتعريف حقوق المصطفى. عمان: دار الفيحاء.
28. القرطبي. (1964م). الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.
29. المراغي. (1946م). تفسير المراغي. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
30. بسَّام جرَّار. (1996م). زوال إسرائيل 2022م نبوءة قرآنية أم صدف رقمية. لبنان: مكتبة البقاع الحديثة.
31. حمد بن محمد الخطابي. (1976م). بيان إعجاز القرآن. مصر: دار المعارف.
32. سعيد حوَّى. (1424هـ). الأساس في التفسير. القاهرة: دار السلام.
33. سيد قطب. (1412هـ). في ظلال القرآن. بيروت: دار الشروق.
34. صلاح عبد الفتاح الخالدي. (1995م). حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية. لندن: منشورات فلسطين.
35. عبد الحميد بوكعباش. (ديسمبر, 2010م). قراءة معاصرة في التفسير الإسلامي لآيات عن بني إسرائيل في سورة الإسراء. مجلة العلوم الإنسانية ، صفحة 290.
36. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (2000م). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة.
37. عبد الغني محمد سعد بركة. (1989م). الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره. القاهرة: مكتبة وهبة.
38. عبد الكريم الخطيب. (1390هـ). التفسير القرآني للقرآن. القاهرة: دار الفكر العربي.
39. عبد الكريم بن هوازن القشيري. (2000م). لطائف الإشارات. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
40. عبد المعز عبد الستار. (2 يناير, 1957م). سورة الإسراء تقص نهاية إسرائيل. مجلة الأزهر ، صفحة 689.
41. عمر الأشقر. (2010م). وليتبروا ما علوا تتبيرا. عمَّان: دار النفائس.
42. فضل حسن عباس. (2000م). الإسراء والمعراج . دروس ونفحات .. عمَّان: دار الفرقان.
43. محمد بن عمر الرازي. (1420هـ). مفاتيح الغيب. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
44. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (1407هـ). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
45. محمد رشيد رضا. (1990م). تفسير المنار. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

46. محمد سعيد رمضان البوطي. (1999م). من ورائع القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة.
47. محمد سيد طنطاوي. (1998م). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نهضة مصر.
48. محمد عبد العظيم الزرقاني. (2017م). مناهل العرفان في علوم القرآن. بيروت: دار ابن حزم.
49. مصطفى مسلم. (1426هـ). مباحث في إعجاز القرآن. دمشق: دار القلم.
50. مصطفى مسلم. (1999م). معالم قرآنية في الصراع مع اليهود. دمشق: دار القلم.
51. نوفل أحمد. (11 7, 2010م). حدث الإسراء وحديث الإسراء. جريدة .
52. وهبة بن مصطفى الزحيلي. (1418هـ). التفسير المنير. دمشق: دار الفكر المعاصر.